الصعود

WWW.ATTAWEEL.COM

أسعد الديب محمد

ابو زياد الكلابي وكتابه « النوادر »

بقلم الدكتور
خليل ابراهيم العطية
كلية الآداب ـ جامعة البصرة

لمحة تاريخية :

يحتل « الاعراب » اهمية بالغة في الدراسات اللغوية والنحوية عند العرب ، لاعتماد اصحابها على الرواية الشفوية ـ بخاصة في القرنين الثاني والثالث ـ وتاكيد فريق كبير منهم على (السماع) حتى عدوا كلام الفصيح من الاعراب « حجة لا يعتورها الشك في جميع مسائل اللغة »(١) .

لقد ظلت البادية ترفد اللغويين بالاعراب ، وبقي هؤلاء موضع ثقة علماء العربية ابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري ، وكان الزمخشري (٥٣٨هـ) آخر من روى عنهم(٢) .

وكان العلماء اول امرهم يشدّون الرحال الى البادية للاستماع الى الاعراب في محاوراتهم ومخاطباتهم ، مستعينين بالواح وحبر ، فاذا اعياهم شيء من ذلك كتبوا على راحة الكف كما فعل الاصمعي (٢١٦هـ) .

ورحل ابو عمرو الشيباني (٢١٠هـ) اليها وافنى (دستجين) حبرا ، فما خرج منها حتى افناهما فيما سمع من الاعراب(٣) .

وامضى النضر بن شميل (٢٠٤هـ) اربعين سنة في البادية(٤) وكان يونس بن حبيب (١٨٣هـ) ممن سمع من الاعراب في بواديهم لذلك زخرت حلقته بـ « طلاب العلم واهل الادب وفصحاء الاعراب ووفود البادية »(٥) .

وحين احس الاعراب بما لهم من اهمية استوطن الكثير منهم الحاضرة متكسبا بالتاديب او سواه ، بعد ان كانوا يفدون للجَلَب والمِيرة ، فيأخذ العلماء عنهم اللغة ويحكّمون في مواضع الخلاف بينهم .

ذكر ابن النديم (٣٨٥هـ) في فهرسته(٦) جملة من اسماء الاعراب ، لم يرتبهم على وفق منهج معين ، ولكنه اوردهم على اختلاف اصقاعهم وتباين ازمنتهم وحق له ان يفعل ذلك لان حصرهم كما يقول باحث معاصر(٧) : « لا يدخل في الامكان فكم كان العالم الواحد يقابل في رحلته الى البادية التي تستغرق منهم سنوات ؛ وكم وفد منهم الى الحضر للاقامة او الزيارة او التكسب » .

ولعل ذلك جعل عالما آخر هو المرزباني (٣٨٤هـ) يذكر طائفة منهم مكتفيا بذكر اسمائهم مرتبين على حروف الهجاء(٨) .

ويستفاد مما أورد ابن النديم ان فريقا من هؤلاء الاعراب احترفوا الرواية واتخذوها وسيلة للعيش والتكسب منهم :ـ

ابو علي الحسن بن علي الحرمازي : اعرابي بدوي راوية قدم البصرة ونزلها .

---

(١) برهان فك : العربية ٥٢ .
(٢) الكشاف : ٦٦٢\٤
(٣) تاريخ بغداد ٣٢٦\٦ وانباه الرواة ٢٢٤\١ ودستيجان مثنى دستيج آنية فارسي معرب .
(٤) نزهة الالباء ٨٥ وبغية الوعاة ٣١٦\٢ .
(٥) اخبار النحويين البصريين ٢٧ .
(٦) الفهرست (ط . طهران) ٤٩ ـ ٥٥ .
(٧) د . محمد عيد : الرواية والاستشهاد باللغة ١٥ .
(٨) معجم الشعراء ٥٠٧ .

WWW.ATTAWEEL.COM

ابو ثروان العكلي : اعرابي فصيح يُعلّم في البادية .

ابو البيداء الرياحي : اعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان بأجرة ، اقام بها ايام عمره يؤخذ عنه العلم .

ابو شنبل العقيلي : اعرابي فصيح وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة .

ومن هذه الامامة يمكننا تبيان ان اللغويين العرب ابتداوا امرهم بالرحلة الى البادية للاستماع الى اعرابها ثم جدت دواعٍ ، دعت هؤلاء الاعراب الى (احتراف) الرواية والتعليم في الحاضرة او في البادية .

وفي بحثنا هذا محاولة لدراسة حياة احد هؤلاء الاعراب الوافدين من البادية الى عاصمة العلم (بغداد) ، وبيان اثره في الدراسات اللغوية من خلال دراسة احد آثاره .

الرجل :

لعل اقدم من اورد نسب ابي زياد الكلابي بتمامه علي بن حمزة البصري (٣٧٥هـ) في اول تنبيهاته على نوادره(٩) فقال : هو يزيد بن عبدالله ابن الحربن همّام بن دُهن بن ربيعة بن عمرو بن نفاثة بن عبدالله بن كلاب بن عامر بن صعصعة .

ونقل ذلك البغدادي (١٠٩٣هـ) في خزانته(١٠) واورد مكان دُهن : دهرا . وتستبان اهمية ما اورد البصري في اكتفاء جل(١١) من ترجم له بذكر اسم ابيه وجده وكنيته بعد اسمه .

اعرابي فصيح مشهور ثقة صدوق(١٢) شاعر صنف كتبا كثيرة الفوائد متوفاة واسترق العلماء بعده منها(١٣) في « اللغة وعلم العربية »(١٤) .

ولا تفصح المضان التي بين ايدينا من امره شيئا كثيرا ، غير انها تعرفه منها انه كان من اهل البادية(١٤) من غير نص على اية بادية تومىء ولكن من الراجح انه من بوادي العراق(١٥) . ولكن من ايها كان ؟ فكتب اللغة والأدب تشير الى بادية الجزيرة الفراتية وبادية السماوة وبادية البصرة ، وبادية الكوفة ..

ولعلنا اميل الى عدّه من اعراب بادية الكوفة ، لاسباب مختلفة ستجد طريقها الى المعالجة في مكان آخر من هذا البحث .

في بغداد : ـ

ذكر دعبل بن علي الخزاعي (٢٤٦هـ) في كتابه الضائع (طبقات الشعراء)(١٦) قدوم ابي زياد الكلابي الى البادية ايام المهدي بن المنصور ، ونزوله ببغداد في قطيعة العباس بن محمد(١٧) مدة اربعين سنة ، وحدد قدومه اليها في (ايام اصابت الناس المجاعة) التي سمّاها ابن قتيبة (٢٧٦هـ) (سنة القحْمة)(١٨) .

اما قطيعة العباس بن محمد ـ الملمع اليها ـ فان الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) حدد مكانها في الجانب الشرقي من بغداد عند باب المُخرّم(١٩) .

---

(٩) في ضمن « التنبيهات على اغاليط الرواة » مما اخلت به نشرة عبدالعزيز الميمني ، وقد اعددنا « بقية التنبيهات » للنشر وهو مشتمل على : التنبيهات على نوادر ابي زياد الكلابي والتنبيهات على نوادر ابي عمرو الشيباني والتنبيهات على النبات لابي حنيفة الدينوري، وسيصدر قريبا » بتحقيقها .

(١٠) خزانة الادب ١١٨\٣ .

(١١) الفهرست ٥٠ وانباه الرواة ١٤١\٤ وتاريخ بغداد ١\ ٢٩٨ .

(١٢) اللسان (حيص ٥١\٧) .

(١٣) انباه الرواة ١٢١\٤ .

(١٤) تاريخ بغداد ٢٩٨\١٤ .

(١٥) اللسان (سبر ٢٤٠\٤) والتاج (سبر ٢٥٢\٣) والاعلام ٢٣٨\٩ .

(١٦) الفهرست : ٥٠ وقد جمع محمد جبار المعيبد متفرق الكتاب ونشره في المورد : ٦ (٢) ١٩٧٧ .

(١٧) العباس بن محمد ابو الفضل اخو المنصور والسفاح ولاه المنصور دمشق وبلاد الشام توفي سنة (٢٨٦هـ) انظر عنه : تاريخ بغداد ١٢٤\١٢ وتهذيب ابن عساكر ٢٥٣\٧ والنجوم الزاهرة ١٢٠\٢ والقطيعة : ما يقطع من ارضين وسواها .

(١٨) عيون الأخبار ١٥٧\٣ .

(١٩) باب المخرم : منسوب الى المخرم بن شريح الحارثي صحابي انظر عنه : اصابة ترجمة (٨٢٧٤) ٤٨٧\١ قال الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ٩٦/١) : « وكانت له اقطعها ايام نزلت العرب في عهد عمر بن الخطاب » . وخبره مسند الى ابن الكلبي فيه ، وهذا الخبر يخالف ما اورده يحيى بن ادم القرشي (٢٠٣هـ) في كتاب الخراج من ان عمر لم يقطع الارضين .

زمن بيت أورده ابن قتيبة(٢٠) لابي زياد(*) نستبين املاقه ومن معه من الاعراب ، وجرايـة العباس لهم بما يدفع عنهم غائلة الجـوع بادىء الامر ، ولسبب نجهله ، قطع عنهم ذلك ، ولعـل ذلك دفعه الى التكسب والمشاركة في الجو العلمي السائد ببغداد آنذاك ، شـأن غيره من الاعراب الوافدين الى الحاضرة حتى صار موضع الفتوى في اللغة ، وكانت بغداد يومها كعبة العلماء ومقصد طالبي العلم والشهرة ، فليس غريبا ان تطيب لابي زياد الاقامة فيها ، ويدلو بدلوه فيكون في ضمن « الاعراب المؤلفين » .

وتصور المظان القليلة انماطا من حياته فيها ، واشكالا من المناظرات الجارية بينه وبين علمائها ، عند لقائهم به ، او لقائه بهم بعد توثيقه ، ومن ثم الاخذ منه .

وكان ديدنهم عند ملاقاة الاعرابي الوافـد فصاحته ، ليتبينوا مقدارها عنده ، فمن عـرف الخطأ بهرجوه ، واطرحوا الرواية عنه ، ومن جهله سارعوا الى توثيقه والاخذ منه .

ويبدو ان ابا زياد نجح فيما اختبروه فيه ، بدلالـة ما رواه ابراهيم بن اسماعيل الكاتب(٢١) الذي سأله عن كلمات مغلوط فيهـا واخر على الصواب ، ومسارعة ابي زياد الى القول ـ فيمـا روى القفطي (٦٢٦هـ)(٢٢) : « ما رأيت احدا » اوقع على كلمة الى جنبها كلمة اقرب شيء منهـا منك » .

ولم يكن ابراهيم الكاتب بدعا في ذلك فلقـد كان من ديدن الكسائي اللجوء الى شيء من ذلك عند لقائـه بفريق من الاعراب يمتحـن بـه فصاحتهم(٢٣) وحين عرف صاحبنا واشتهر لم يتوان علماء بغداد : بصريين وكوفيين من الاخـذ منه ؛ فيهم الفراء (٢٠٧هـ) الذي نقل عنـه نصوصا مختلفات اوردتها مصنفاته(٢٤) وفيهم : ابو محمد عبـد الله بن سعيد الاموي(٢٥) وعبـد الرحمن بـن اخي الاصمعي الذي روى كتابـه النوادر(٢٦) والجاحظ (٢٥٥هـ)(٢٧) وابـو عبيـد القاسم بن سـلام (٢٢٤هـ)(٢٨) كما ان فهيم ابن الاعرابي (٢٣١هـ) وابا عمرو الشيباني (٢١٣هـ) .

اما ابن الاعرابي فقـد كان كثير الاخذ مـن الاعراب وهو القائل (سمعت من الف اعرابي خلاف ما قاله الاصمعي)(٢٩) .

وبين ايدينا نص رواه علي بن اسماعيل بن سيدة (٤٥٨هـ) عن ابن جنى (٣٩٢هـ)(٣٠) يصور لنا ان هؤلاء العلماء لم يكتفوا بمسائلـة ابي زياد وسواه من الاعراب في مجالسهم حسـب ، وانما كانوا يساءلونهم اينما وجدوهم ، ومؤدي الخبر الذي اشار اليه ابن الانباري (٥٧٧هـ) وياقـوت الحموي (٦٢٦هـ)(٣١) ايضا .

ان ابا عبد الله بن الاعرابي لقي ابا زياد على الجسر ببغداد وسأله عن قول النابغة :

يطوف بهـا وسط اللطيمـة ناطـع
على ظهـر منبـاة جـديد سيورها

فقال ابن الاعرابي : النُطّع بالفتح وسكون الفاء .

فقال ابو زياد : لا اعرفه .

فقال ابن الاعرابي : النِطع بالكسر .

فقـال ابـو زياد : نعم والجمع انطع وانطاع ونُطوع .

وعقب ابن الانباري من رواة الخبر : « وانما انكر ابو زياد انِطع بفتح النون وسكون الطاء لانها لم تكن من لغته » .

اما ابو عمرو الشيباني فقد روى في (الجيم) جملـة صالحـة عـن ابي زياد ، حتى تبين لباحث

---

(٢٠) عيون الاخبار ٢\١٥٧ .
(*) البيت هو :
ان يقطع العباس عني رفيقه
فما ياتني من نعمة الله اكبر
(٢١) قال عنه ابن النديم في الفهرست : ١٢٧ : كاتب مترسل له تقدم في البراعة والبلاغة .
(٢٢) انباه الرواة ٢\٢٧٣ .
(٢٣) نفسه ٢\٢٧٣ .
(٢٤) مراتب النحويين ٩١ والزهر ٢/٤١٠ ومعاني القرآن ٢\٩٧ والايام والليالي ٥٨ وأمالي القالي ٢\٢٥٦ .
(٢٥) مراتب النحويين : ٩١ والزهر ٢\٤١٠ .
(٢٦) فهرسة ابن خير الاشبيلي ٢٧٩ .
(٢٨) الفهرست ٧٨ وفي (الغريب المصنف) جملة صالحة من مروياته عنه .
(٢٧) البيان ٢\١٥٦ .
(٢٩) نزهة الالباء ١٥١ .
(٣٠) المحكم ١\٢٤٥ .
(٣١) نزهة الالباء ١٥١ وارشاد الاديب ٦\٧ واللسان (نطع ٨\٣٥٧) .

معاصر(٢٢) ان نسبة ورودة فيه : « شكلت أعلى نسبة الى جانب سبعة عشر رواية كانوا حصلو على نسبة تردد بلغت (٢٧ د . ٪) » .

وقد ظهر لنامن رصد معجم (الجيم) شيء من ذلك ، وتبين لنا امرهم فيه ، وهو عدم اتفاق ما روى عن ابي زياد الكلابي فمرة يرد باسم ابي زياد من غير تعييد(٢٣) وتارة باسم الكلابي(٣٤) من غير الكنية ولم يجمعهما الا مرة واحدة وهو قوله :(٣٥) في باب (الراء) :

وقال ابو زياد الكلابي : «ناقة رحيلة ، بينّة الرحلة ؛ وجمل رحيل اذا كان نجيبا فارها » .

وذلك يستدعي التحقق من ان ابا عمرو عني بالكلابي ابا زياد ــ صاحبنا ــ لاني الفيت الدكتور حسين نصار(٣٦) يرى ان ايراد ابي عمرو لامثال : الاكوعي والسعدي والطائي والكلابي واشباهه غير مقصود به شخصاً بعينه وانما قصد انّ اللفظ المروى عنه لهجة قومه .

ومهما يكن من أمر فإن من الثابت رواية ابي عمرو الشيباني عن ابي زياد الكلابي وسواه من الاعراب كما تقدم ، ومن هنا نستشعر غرابة كثير من الالفاظ والمعاني التي اوردها وبُعدها عن المألوف(٣٧) في معجمة ؛ لاعتماده على اعراب كوفيين امتنع عن لأخذ منهم البصريون لعدم وثوقهم بهم(٣٨) .

واذا كان هذا الامر صحيحاً ، فما ايسر افتراض كوفية ابي زياد ، وكونه من اعراب بادية الكوفة ولعل من النافع ان نذكر هنا ان مقبرة كانت في الكوفة لبني كلاب ــ قوم ابي زياد ــ اشار اليها ما سنيون في (خطط الكوفة)(٣٩) .

ولعل ما يرجع كوفيته أيضاً شهوده(*) مجلس يحيي بن خالد البرمكي في ضمن الاعراب الذين احضروا في فتوى (المسالة الزنبورية) المنتهية لصالح الكسائي .

ومن هذا العرض يمكننا تبيان موقع ابي زياد الكلابي في الدراسات اللغوية ، وكثرة الاخذ منه في عصره ،وترجيحنا من امر كوفيته .

الهَياة والسّبر ــ الوفاة :

لعل من النافع هنا ان نجتلي شيئا من احوال الرجل الآخر ؛ ونتبين تاريخ وفاته . فإنّ ذلك سيكشف لا محالة عما اغفلته مظان ترجمته .

ولعل من المفيد أن نخلص الى كثرة ترحال الرجل سواء أكان ذلك في اثناء اقامته بالبادية أم عند اقامته ببغداد ، لأن بين ايدينا نصوصاً مختلفة من نوادره وسواها تومىء الى شيء من ذلك .

واشاراته في نوادره كثيرة الايماء الى مواضع عدّة تبعد كثيراً عن ديار بني كلاب ــ وان كان كثير الاحتفال بتحديد ديارهم في جزيرة العرب ، من ذلك اشارته الى « يبرين »(٤٠) وابياته فيها دالة على رؤيته لها فضلاً عن ذكره بوانة(٤١) من مياه بني عقيل و بيشة(٤٢) من ديار بني سلول و « حائل » ماء في بطن المروت(٤٣) من ارض يربوع و « عقار الملح »(٤٤) من مياه بني قشير و « قو »(٤٥) واد بين اليمامة وهجرو « القعقاقع »(٤٦) بلاد العجلان وسواها .

ومع يقيننا ان الرجل ينقل وصفة لهذه المواضع وسواها من اعراب آخرين ، كما افاد بذلك في « قنا »(٤٧) من مياه بني قشير وهو قوله : «واخبرنا رجل من طيء من سكان الجبلين ان القنا جبل في شرقي الحاجز .. » وسؤالة الصقيل الأعرابي عند

(*) ممن اشار الى مشاركة ابي زياد في المسالة الزنبورية الزجاجي في اماليه ٢٤٠ ومجالس العلماء ١٠ وابو الطيب اللغوي في مراتب النحويين ٨٧ والزهر ٤١٠\٢ وذكر ابن النديم في الفهرست ٥٧ اباد ثار في ضمن من احضر من الاعراب ، وهو اعرابي آخر ترجم له ، وانظر ايضا « الانصاف في مسائل الخلاف » .

(٢٢) د . عبدالقادر عبدالجليل : مجلة صوت الجامعة ١١٤\ ١٩٧٩ ص ٢٧ وقد استخدم الباحث الحاسب الالكتروني (الكومبيوتر) .

(٢٣) انظر الجيم : ٨٤\١ ، ١٧٤ (مكرر) ، ٢٢٢ ، ٢٩٩ . ٤٦\٢ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٤١ ، ٢٠٨ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧ ٤/٣ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٨٦ ، ٢٣١ .

(٢٤) نفسه : ٦٠\١ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، . ٦\٢ ، ٢٧٢٩ ، ٣٥ ، ١٨٩ ، ٢٦٩ ، ٣٢٠ .

(٢٥) نفسه ٢٩٨\١١ .

(٣٦) مجلة كلية الشريعة ٢ (١٩٦٦م) ص ٢٧ والبحث بعنوان : « كتاب الجيم للشيباني » .

(٢٧) د . حسين نصار مجلة كلية الشريعة \ بغداد ٢ (١٩٦٦) ص ٢٧ .

(٢٨) مراتب النحويين ٩٠ .

(٢٩) خطط الكوفة ١٩ .

(٤٠) معجم البلدان ١٠٠٦\٤ .

(٤١) نفسه ٧٥٤\١ .

(٤٢) نفسه ٧٩١\١ .

(٤٣) نفسه ١٩١\٢ .

(٤٤) نفسه ٦٩٢\٣ .

(٤٥) نفسه ٢٠٥\٤ .

(٤٦) نفسه ١٤٥\٤ .

(٤٧) نفسه ١٧٩\٤ .

قدومه من البادية فيما افاد الجاحظ عنه(٤٨) فإنّ مما لا نشك فيه انه كاىء اعرابي تقتضيه حياته التجوالفي ديار شتىبحثا عن الكلأ والعشب فيحياته الاولى قبل مقدمة الى بغداد ، ومن اجل ذلك كان شديد الاحتفال بوصف ما في البادية من نبات وافاوية ، وذكر جملة صالحة لكل ما يتعلق بالسهام وسواها من سلاح الاعراب وليس غريبا ان يروى ابو حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ) عن شيوخة عنه في كتاب « النبات » غير قليل مما ذكرنا وان يقول فيه :

« كان ابو زياد عالماً بالقسي والنبل وكان راميا »(٤٩) .

اما مغادرته بغداد ــ ولنكن اكثر دقة العراق ــ فإنّ النص التالي يوضحها فيما روى عنه :(٥٠) « قال ابو زياد وقفت على رجل من اهل البادية بعد منصرفي من العراق فقال : اما اللسان فبدوى واما السّبر فحَضَرّي » .

ولعلنا نتنفع من النص امرين : الاوّل يومىء انه غادرالعراق عند اقامته ببغداد ،والاخر : يشير الى احتفاظه بمظاهر الفصاحة مع انه تزيى بزي الحَضَر بعد طول المكث ببغداد بشهادة الاعرابي .

يبدو ان ابا زياد معدود في « المُرجان » فقد روى ابن قتيبة(٥١) له بيتا يومىء الى ذلك وهو قوله :

الفت عصا الطّرفاء حتى كانما
ارى بعصا الطرفاء احدى النجائب

وليس بين ايدينا ما ينبغي هذا الخبر او بعضده ، فقد تفرد به ابن قتيبة ، ولم يشر اليه الجاحظ في كتابه « البُرصان والعُرجان » او محمد بن حبيب (٢٤٥هـ) في المُحبّر وإنْ كان هؤلاء لم يشرروا الا الاشراف منهم .

اما وفاته فان احداً لم يشر اليها ممن ترجم له من الاقدمين ، وافترض الزركلي(٥٢) انها كانت نحو ٢٠٠ هونص الدكتور حسين نصار(٥٣) انها كانت٢١٥ هولم يذكر مظنّته .

(٤٨) البيان ١٥٦\٢ وانظر المخصص ١٧٧\١٠ .
(٤٩) النبات (قطعة من الجزء الخامس) ٣٦١ .
(٥٠) اللسان (سبر ٢٤٠\٤) وتاج العروس ٢٥٢\٢ والسبر: بالكسر الزي والهياة .
(٥١) عيون الأخبار ٦٨\٤ .
(٥٢) الاعلام ٢٣٨\٩ .
(٥٣) المعجم العربي ١٤٠\١ .

ويبدو انها كانت بين التاريخين المذكورين ، اذا ما علمنا انه نزل بغداد ايام المهدي الذي دامت خلافته بين ١٥٨هـ ــ ١٦٩هـ وصدّقنا أقامته ببغداد اربعين سنة . اما مكانها فقد كان ببغداد .

الشاعر :

ابو زياد شاعر نصّ على ذلك جُلّ من ترجم له من الاقدمين ،والده دعبل الخزاعي في كتابه « طبقات الشعراء » الذي لا نعرف شيئاً كثيراً عن منهجه ، ثم إنّ النصوص الباقيات منه لا تعين على ادراك مفهوم « الطبقة » عنده(٥٤) حتى نستبين منها موقعه بين الشعراء المترجم لهم فيه .

غير أن الخطيب البغدادي افاد ان لابي زياد شعراً كثيراً(٥٥) ويبدو تعجل هذا الخبر واحتياجه الى غير قليل من الدقة ازاء خبر آخر ــ لا نشك في صحته وقربه من واقع الأمر ــ اورده ابن النديم(٥٦) في فصل عقده « لاسماء الشعراء المحدثين وبعض الاسلاميين ومقادير ما خرج من أشعارهم » الدال على ان شعره يشغل ثلاثين ورقة ، واغنانا عن التخمين حين نصّ على انه يعني بالورقة عند الايماء الى مقدار ديوان اي شاعر ممن ذكرهم ــ « ان تكون سُليمانية . ومقدار ما فيها عشرون سطراً ، اعني في صفحة الورقة . فليعمل على ذلك في جميع ما ذكرته من قليل اشعارهم وكثيره . وعلى التقريب قلنا ذلك وبحسب ما راينا على مَرّ الزمان لا بالتحقيق والمدد الجزم » .

ونتعمد في تصديقنا خبر ابن النديم على قرية من عهد ابي زياد ، وكونه وراقاً ، ووصفه دال على رؤيته ديواناً مفرداً له ؛ وبالتالي فإنّ عدد اوراق ديوانه لا يومىء الى الكثرة المطلقة التي اشار اليها الخطيب البغدادي .

وقارىء عامة شعر ابي زياد الذي تأدّى الينا منه قدر ضئيل مبعثر في المظان القليلة على شكل مقطعات وابيات مفردات ، دال على دُرْبة ، ولا يخلو بعضه من عاطفة وحنين الى ايام خوال فمن ذلك قوله :

اراك الى كثبان يبرين صُبّة
وهذا لعمري لو قنعت كثيبُ

(٥٤) مجلة الورد ٦\ (٢) ١٩٧٧ ص ١١١ .
(٥٥) تاريخ بغداد ٣٩٨\١٤ .
(٥٦) الفهرست ١٨٩ .

وإنّ الكثيب الفرد من ايمن الحمى
اليّ وان لم آته لحبيب

فأين الأراك الآن والأيك والغضا ومستخبر عمن احب قريب[٥٧] .

ومنه قوله :

له نار تشب بكل وادٍ
اذا النيران ألبست القناعا
ولم يك اكثر الفتيان مالاً
ولكنْ كان ارحبهم ذراعا[٥٨]

ومن مفاريده قوله وقد (اولم جار له يكنى ابا سفيان وليمة ودعاه لها فانتظر رسوله حتى تصرم يومه فلم يأت فقال لامرأته) :

إنّ ابا سفيان ليس بمُولمٍ
فقومي فهاتي فِلقة من حُوارك !

واستطرد اسحق بن ابراهيم الموصلي (٢٣٦هـ) راوي الخبر[٥٩] : « فقلت له :

اليس غير هذا ؟ فقال : لا ؛ انما ارسلته يتيما » .

هذا كل ما امكن جمعه من شعر ابي زياد ـ مع طول البحث وكثرة التقصي ـ واذا ما اضفنا اليه بيتين رواهما ابن قتيبة ـ اسلفنا ذكرهما ـ امكننا القول بشيءٍ من الحذر ان معظم شعره ذاتي يلجأ اليه فيما يعن اليه من شؤون الحياة ، ولذلك بدا فيه صادق اللهجة .

المؤلف :

عزت كتب الطبقات لأبي زياد اربعة مصنفات هي : ـ

١ ـ الابل : مذكور في الفهرست ٥٠ وانباه الرواة ١٢١/٤
٢ ـ خلق الانسان : ذكره الفهرست ٥٠ وانباه الرواة ١٢١/٤
٣ ـ ديوان شعره ذكره الفهرست ١٨٩
٤ ـ الفرق ذكره الفهرست ٥٠ وانباه الرواة ١٢١/٤ وسمّاه البغدادي في خزانة الادب ١١٨/٣ : كتاب الفروق .
٥ ـ النوادر : ذكر في الفهرست ٥٠ وانباه الرواة ١٢١/٤ ومعجم البلدان ٧/١ وابن خير ٢٧٩ .

وليس من العسير ان نتبين انها دارت حول الحياة المادية في البادية ؛ لان موضوعاتها لصيقة بحياة الاعراب فيها ؛ وقد كانت تلك الموضوعات واشباهها موضع عناية هؤلاء الاعراب الوافدين الى الحاضرة فلأبي الشمخ الاعرابي: كتاب الابل[٦٠].

ولربيعة النصري : حنين الابل الى الاوطان[٦١] .

ولأبي محلم الشيباني : كتاب خلق الانسان[٦٢] .

ولكل من : ابي شنبل العقيلي ؛ ودُهمج بن محرز النصري وابي مسحل الاعرابي وابي علي الحرمازي وابي مسهر الاعرابي : كتاب في النوادر .

ولأم البهلول الاسدية : كتاب النوادر والمصادر .

كتاب النوادر :

اثنى الاقدمون على كتاب ابي زياد الكلابي في « النوادر » وعدّه القفطي (٦٤٦هـ)[٦٣] « اتم كتاب عمل في هذا النوع واكثرها فائدة » وابتدأ بها علي بن حمزة البصري تنبيهاته (لشرف قدرها وسمو ذكرها ونباهة مُصنفها) ؛ وكان يمتلك منه نسخة وقف عليها ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ)[٦٤] .

ولاشتماله على كثير من وصف النبات عدّه ابو حنيفة الدينوري في ضمن مصادر كتاب(النبات) واكثر الاقتباس منه ، ولدقة وصفه مواضع الجزيرة العربية اورد ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) قدرا « صالحا » منه في معجم البلدان .

ولأهميته اللغوية اصطحبه ابو علي القالي (٣٥٦هـ) الى الاندلس في رحلته اليها سنة

---

(٥٧) معجم البلدان ١٠٠٦\٤ .
(٥٨) الحماسة (بشرح المرزوقي) ١٥٩٢\٤ وخزانة الادب ١١٨/٣وبلا عزو في الحيوان ١٣٥/٥ .
(٥٩) الاغاني (الدار) ٢٧٥\٥ .
(٦٠) الفهرست ٥٠ .
(٦١) نفسه ٥٢ .
(٦٢) نفسه ٥٢ .
(٦٣) انباه الرواة ١٢١\٤ .
(٦٤) العمدة ٢١٢\٢ .
(٦٥) فهرسة ابن خير ٣٩٥ وانظر ٢٧٩ منه ايضا .

(٢٣٠هـ)[٦٥] وظل موضع عناية علمائها[٦٦] كابن خير الاشبيلي الذي رواه عن شيوخه الحسن بن محمد بن مفيث (؟ هـ) والوزير ابي مروان عبدالملك بن سراج (٤٨٩هـ) وابي بكر الزبيدي (٣٧٩هـ) .

ومن خبر نقله علي بن حمزة البصري في تنبيهاته على (الغريب المصنف لأبي عبيد)[٦٧] نعلم انه كان في عدة اجزاء ؛ وقد نقل منه نصاً وقال : « وهو في الكراسة الثامنة من الجزء الثالث من نوادره » ومعنى ذلك انه كبير ، فاذا اضفنا الى ذلك خبر ابن خير وجارينا ابن سيده (٤٥٨هـ) في تقسيم معجمه (المخصص) الى اسفار عند الاندلسيين تبين لنا صحة خبر عبدالقادر البغدادي (١٠٩٣هـ) الذي قال فيه : وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة »[٦٨] .

النادر عند ابي زياد :

في بحث لنا ـ غير هذا ـ جلونا معنى النوادر عند العرب [٦٩] وخلصنا الى ان النادر من الالفاظ مرتبط بمقدار ذيوع الاستعمال ومقدار الشيوع عندهم . وكلما كثر استعمال اللفظ وعرفه جمهور اكبر وذاع على السنتهم كان اجود وافصح؛ لان الفصيح كما حدد ثعلب (٢٩١هـ) : هو مدار كلام العرب[٧٠] .

فهل شمل « نوادر » ابي زياد النوادر على وفق هذا المنهج ؟ الحق انه ظهر لنا ـ في اثناء جمعه وتحقيقه ـ جمعه النادر والفصيح ، وهو اقرب الى معالجة الفصيح المتداول منه الى ايراد النادر بالمعنى الذي اوردناه . فمما ينطبق على « النوادر » ايراده جمع الكهف على الاكهاف ، وقد انشد ابو زياد في نوادره لجدة همام بن دهر[٧١] :

يلوذ مني الذئب في الاكهاف

وذكر المالح بدل ماء مِلح[٧٢] واورد قول الراجز :

بصرية تزوجت بصريا
يطعمها المالح والطريا
وجبذا البر لها مقليا

وقول الراجز :

صبحن قوا والحمام واقع
وماء قوا مالح وناقع

واورد[٧٣] : « لا تقول في شيء مقلي الا مقلو ، فأما المقلو فالمطرود ، قلوت الابل سقتها . »

وخرفع العشر[٧٤] ؛ وعشرات الالفاظ النادرة في القنص والسهام والنحل والعسل والدباغ والصمغ والجراد والجندب مما ذكره ابو حنيفة الدينوري من مروياته منه في كتاب (النبات) .

اما فصيح الالفاظ فتؤلف عامة « النوادر » ترد على شكل اخبار في انساب العرب وايامها ومأثوراتهم الشعبية ، وجماعات الحيوان وسواها .

وليست ظاهرة جمع النادر والفصيح في كتب النوادر ببدع عند ابي زياد ، فهي ظاهرة عامة نجد مثيلا لها عند ابي زيد الانصاري[٧٥] (٢١٥هـ) وابي مسحل الاعرابي (٢٣١هـ)[٧٦] .

وفي نوادر ابي زياد ظاهرة لا نجد مثيلها عند ابي زيد الانصار وابي مسحل الى جانب عنايته بما ذكرنا من انساب العرب (بخاصة قومه) وايامها وامثالها وجماعات الحيوان وبيان مظاهر البادية وما تشتمل على نبات ونحل وقنص وسهام وافاوية عناية خاصة بوصف مواضع البادية وغدرانها وافلاجها وجبالها

---

(٦٦) انظر : د . البير حبيب مطلق : الحركة اللغوية في الاندلس ٩٢ ، ١٢٥ ، ١٩٥ .
(٦٧) التنبيهات ٢٦٨ .
(٦٨) خزانة الادب ١١٨/٢ .
(٦٩) الدراسات اللغوية عند العرب (على الآلة الكاتبة) ص: ٨٠ وانظر د . عزة حسن \ مقدمة نوادر ابي مسحل الاعرابي .
(٧٠) الفصيح ٣ والبلغة في اصول اللغة ٣٥ .
(٧١) التنبيهات ٩٨ .
(٧٢) النبات ٥/٣ .
(٧٣) نفسه
(٧٤) نفسه ١٢٩ .
(٧٥) في كتاب النوادر له ٢٤٩ (الغيثارة) والشنذارة ٢٤٨ وبمونناه ، ١٥١ والقيم بمعنى العطش وكبرة واكبرة على سبيل المثال وهو في عامته يجمع الفصيح والنادر .
(٧٦) في كتاب نوادر ابي مسحل انظر ١٥٤/١ ، ١٦٤ ، ٩٩ الى جانب احاديثه عن النخل وغرسه ١٧٧/٢ والمصادر ٢١/١ ومسائل الابدال ٦٢/١ والافعال ذات المعنى الواحد على فعل وافعل ٧٥/١ ـ ٧٧ ويكاد جله يعالج الفصيح .

الى جانب عناية بأسماء شعراء القبائل غير المعروفين من امثال : وعلة الجرمي والاعور بن براء الكلابي والطويق بن عاصم النميري وعطاء مولى ابي بكر بن كلاب والسرى بن حاتم وجهم بن شبل وقتيبة الجرمي وسواهم(٧٧) .

وتذكرنا هذه العناية لتحديد اماكن البادية وذكر اسماء شعراء القبائل « بالنوادر والتعليقات » لابي علي الهجري(٧٨) الذي يعد كتابه في نظرنا امتداداً لهذه الظاهرة وان كان نوادر ابي زياد يفوقه في الاعتناء بذكر غير قليل من اخبار العرب ونبات بواديهم مع التأكيد على مواضع اقامة قومه بني كلاب كما اشرنا .

منهج كتاب النوادر :

سبقنا الى وصف منهج النوادر لابي زياد باحث معاصر(٧٩) وخلص الى القول : « ان الكلابي كان يأتي ببيت من الشعر ثم يفسر ما فيه من نوادر وغريب ، ويذكر معناه الاجمالي . وكان تفسيره اللفظ يتعرض للجمع المفرد له ومفرد الجمع وعلام يُطلق وكان في بعض الاحيان لا يأتي ببيت واحد ، بل بقطعة كاملة وفي مواضع اخرى لا يذكر شعرا » البتة . ولم يكن يلتزم ان ينسب كل ما يورد من شعر الى صاحبه ، بل يهمل ذلك احيانا» .

ويلوح لنا ان اعتماد الباحث في استنباط هذه النتائج على ما اورد علي بن حمزة البصري في تنبيهاته على نوادر ابي زياد ، ومنهج البصري فيما ظهر لنا من دراسة منهجه في النقد اللغوي(٨٠) غير نقد كتب اخر تادت الينا ، مثل الكامل للمبرد (٢٨٥هـ) واصلاح المنطق لابن السكيت (٢٤٤هـ) ؛ والمقصور والممدود لابن ولاد (٣٣٢هـ) الاكتفاء بايراد الجزء المنقود عليه ، وعدم ايراده النص بتمامه ، ومن اجل ذلك فلايمكننا عدّ ماورد في « التنبيهات » من نوادر ابي زياد صالحا لتبيان منهج النوادر ، لاننا نملك نصوصا كثيرة اوردتها كتب اللغة والأدب ومعاجم البلدان بخاصة معجم البلدان لياقوت .

ومن اجل ذلك فنحن لا يمكننا التسليم بقول الباحث المذكور من ان ابا زياد يأتي ببيت من الشعر ثم يفسر ما فيه من نوادر وغريب بنصوص كثيرة منها على سبيل المثال :

قال ابو زياد الكلابي : التسرير ذو بحار واسفله حيث انتهت سيوله سُمي السِّر ، قال : وقال اعرابي طاح في بعض القرى لمرض اصابه فسأله ياتيه أي شيء تشتهي ، فقال :

اذا يقولون ما يشفيك قلت لهم :
دخان رمث من التسرير يشفيني
مما يضم الى عمران حاطبه
من الجنينة جزءاً غير موزون(٨١) .

وقوله : وارض بني غير الشريف دارها كلها بالشريف الا بطنا واحداً باليمامة يقال لهم : بنو ظالم بن ربيعة بن عبد الله وهو بين حمى ضرية ... ويوم الشريف من ايامهم قال بعضهم :

غداة لقينا بالشريف الأ حامسا (٨٢)

ومن هنا فإنّ منهج ابي زياد قائم على ايراد نصوصه اللغوية وفي اثنائها يورد الشواهد الشعرية والحوادث التأريخية او انساب العرب وما الى ذلك . ونحسب انه يورد ما يورد على وفق توارد ذلك على الخاطر ، وربما كان يُملي « نوادر » تلك على طلبة كانوا يدونون تلك الأمالي في فترات متباعدة ، ولذلك تلقاه يورد حديثاً عن موضع ثم يذكر خلافه في موضع آخر من كتابه ، وقد تنبه الى شيء من ذلك ياقوت الحمى(٨٣) في معجم البلدان .

وبعد :

فقد جلونا في هذا البحث سيرة واحد من الاعراب وتبينا موقعة بين علماء عصره واشرنا الى آثاره في اللغة ، وخصصنا « نوادره » بعناية خاصة مبينين اهميته اللغوية والتاريخية ومنهجه ، راجين ان نكون وفقنا فيه .

---

(٧٧) انظر عن المواضع معجم البلدان في عامة اجزائه وللشعراء المذكورين مثلا ١٤٢\١ ، ١٧٨ و ٤٥٨\٢ و ٢٣٤\٣ ، ٥٨٥ ، ٨٧٧
وانظر : بقية التنبيهات على نوادر ابي زياد (بتحقيقنا) مواضع مختلفة .

(٧٨) انظر في ذلك : حمد الجاسر في كتابه ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع بيروت ١٩٦٨ ص ٨٠ ـ ٢٩٩

(٧٩) د . حسين نصار : المعجم العربي ١٤٠\١ .

(٨٠) في مقدمة بقية التنبيهات على الغاليط الرواة (تحت الطبع) .

(٨١) معجم البلدان ٨٥١\١ .

(٨٢) نفسه ٢٨٥\٣ وانظر ايضا الفرق ٨٧٧\٣

(٨٣) انظر على سبيل المثال ٣٤١\٢ و ١٩٨\٣ و ٢١٧ .

أهم مصادر البحث : ـ

ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع ـ حمد الجاسر بيروت ١٩٦٨ .

اخبار النحويين البصريين ـ ابو سعيد السيرافي ، ط كركو .

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ياقوت الحموي ط . مرغليوث .

الاعراب الرواة ـ د . الشلقاني ليبيا ١٩٧٥م .

الاعرابيات ـ خليل مردم ـ دمشق .

الاعلام ـ الزركلي ، ط ٢٠ القاهرة ١٩٥٩ .

الاغاني ـ ابو الفرج الاصبهاني ، ط . دار الكتب المصرية .

الامالي ـ ابو علي القالي ، ط . دار الكتب المصرية .

انباه الرواة على انباه النحاة ـ القفطي ، ط . دار الكتب ١٩٧٣/١٩٥٠ .

الايام والليالي ـ الفراء د . ابراهيم الابياري المط الاميرية / القاهرة ١٣٨٢هـ .

بقية التنبيهات على اغاليط الرواة ـ علي بن حمزة البصري. تحـ د . خليل ابراهيم العطية (تحت الطبع) .

البيان والتبيين ـ الجاحظ ، تحـ عبدالسلام هارون مط لجنة التاليف والترجمة .

تاج العروس ـ المرتضى الزبيدي ، ط مصر .

تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ، ط . الخانجي ١٣٤٩هـ.

التنبيهات على اغاليط الرواة ـ علي بن حمزة البصري ، تحـ عبدالعزيز الميمني دار المعارف .

الجيم ـ ابو عمرو الشيباني ، مط . مجمع اللغة العربية / القاهرة .

الحركة اللغوية في الاندلس ـ د. البير مطلق . صيدا ـ ١٩٦٧

الحماسة (شرح المرزوقي) تحـ عبدالسلام هارون ، ١٩٥١م/ القاهرة .

الخراج ـ يحيى بن آدم القرشي ، تحـ : احمد محمد شاكر المط السلفية ١٣٤٧هـ .

خزانة الادب ـ عبدالقادر البغدادي ، ط . بولاق ١٢٩٩هـ .

خطط الكوفة ـ ماسينون ، ترجمة المصعبي ـ صيدا .

الدراسات اللغوية في القرن الثالث الهجري ـ د . خليل ابراهيم العطية .

رواية اللغة ـ د . الشلقاني ؛ دار المعارف مصر .

الرواية والاستشهاد باللغة ـ د . محمد عيد ، مط : دار النشر الثقافة مصر ١٩٧٢ .

شرح أبيات المغني ـ عبدالقادر البغدادي ـ دمشق .

شرح الفصيح ـ ابن ناقيا ، تحقيق عبدالوهاب المدواني (رسالة ماجستير) كلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٧٣ .

طبقات النحويين واللغويين ـ ابو بكر الزبيدي ، تحـ محمد ابو الفضل ـ دار المعارف مصر .

العربية ـ يوهان فك ، ترجمة النجار . القاهرة .

العمدة ـ ابن رشيق القيرواني ، تحـ محي الدين عبدالحميد القاهرة .

عيون الاخبار : ابن قتيبة ، مط . دار الكتب المصرية .

الفهرست ـابن النديم ، نشر رضا تجدد ـ طهران .

فهرسة ما رواه عن شيوخه ـ ابن خير الاشبيلي .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ـ الزمخشري ؛ مصر ١٩٤٧ .

لسان العرب ـ ابن منظور ، ط . صادر ، بيروت .

مجالس العلماء ـ الزجاجي، تحـ عبدالسلام هارون ـ الكويت

مراتب النحويين ـ ابو الطيب اللغوي ، تحـ ـ محمد الفضل ابراهيم ط ١٠ .

معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ، ط وستنفلد .

المعجم العربي ـ د . حسين نصار ، دار مصر للطباعة ١٩٦٨م

المزهر في علوم اللغة وانواعها ـ السيوطي ، تحـ احمد جاد المولى وآخرين القاهرة ١٩٥٨ .

معاني القرآن ـ الفراء تحـ احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ـ مط دار الكتب المصرية .

النبات ـ ابو حنيفة الدينوري ، بريهنارد لفين ـ بيروت ١٩٧٤ .

نصوص من كتاب طبقات الشعر لدعبل الخزاعي ـ محمد جبار المعيبد ، مجلة المورد .

النوادر في اللغة ـ ابو زيد الانصاري ، بيروت .

النوادر لابي مسحل الاعرابي ـ تحـ د. عزة حسن ـ دمشق

WWW.ATTAWEEL.COM